ظهر حديثا

شرق وغرب للأستاذ على محمود طه (دار إحياء الكتب العربية)

هل نستطيع أن نقول إن الاستاذ على محمود طه هو أشعر الشعراء فى مصر ؟ إن هذا القول فيه شئ من الجرأة قد يحتاج إلى تفصيل كثير ، وقد يرى فيه بعض الشعراء تحديا وافتئاتاً . والقول بهذا الرأى الجرئ يحتاج إلى بحث ودفاع وتحليل ليس هذا موضعه . لذلك لا نريد أن نعرض له . ولكننا نقول فى جرأة إن الأستاذ على محمود طه هو من أوائل الشعراء الذين يصح تسميتهم بهذا الاسم على حقيقته . أى نريد أن نخرج من صفوفهم أولئك الذين يرون فى الوزن والصياغة كل شئ ، أو أولئك الذين لا يجدون فى خيالهم الخصب ما يسعفهم على الشعر فيلجأون إلى تصيد المناسبات التافهة ، أما ذلك الفيض من الخيال الذى ينهمر فى رءوس الشعراء المطبوعين فانك لا تجده فى شعرهم . ولكن يجب ألا يعزب عن فكرنا أن الشعر فن وصنعة وليس الخيال وحده كافياً ، بل إن المنحى الجديد فى الشعر الغربى يجنح إلى القول بأن الشعر هو فن وصنعة قبل أن يكون خيالا . ومن المفهوم بوجه عام أن هذه النزعة الجديدة إنما هى مغالاة بعض الشئ فى ناحية من نواحى فن الشعر ، توازن وتقابل المغالاة فى الناحية الأخرى — أى ناحية الخيال - التى كان يجنح إليها شعراء القرن التاسع عشر فى أوربا . ولا شك فى أن دولة الشعر يتنازعها هذان العاملان ويتعاور عرشها النزعتان فاذا أغرق بعض الشعراء فى ناحية أغرقت المدرسة التى تخلفهم فى الناحية الأخرى ، وتلك سنة الطبيعة

ونستخلص من هذا الحديث أن الأستاذ على محمود طه ينحو فى شعره منحى شعراء القرن التاسع عشر من الأوربيين . فهو شاعر الخيال قبل كل شئ . وهو شاعر باحساسه وبقلبه قبل أن يكون بصنعته ؛ وقد لا يهتم بهذه الصنعة أحياناً . ولكنه كذلك شاعر قد ظل يخرج شعره سنوات طويلة حتى صار من السهل عليه أن يفكر بالشعر قبل أن يكون تفكيره نثراً . وهذا هو

السبب فى تلك السهولة التى تجعل من شعره شيئاً أقرب ما يكون إلى الموسيقى منه إلى الشعر .

أما نزعته الخيالية فتتبين فى هذا الديوان الجديد كما تبينت من قبل فيما يقرب من عشرة دواوين أخرى نشرها ، وعرفها الناس وأقبلوا عليها أكثر مما عرفوا شاعراً آخر من شعراء مصر . فمن موضوعاته تلك المقطوعات التى كتبها بمناسبة زيارته لمنزل ريتشارد فاجنر الموسيقى الألمانى العظيم الذى أقام فيه حينا من الدهر فى ضاحية من لوسرن ؛ أو على الأصح مكان المنزل الذى كان يقيم فيه الموسيقى العظيم ؛ فان ذلك المنزل ليس قائماً الآن وهو المكان الذى لحن فيه بعض دراماته الموسيقية .

و يمكنك أن تمضى وقتاً لذيذاً مع الأستاذ على محمود طه فتسمع منه اعتراقاته ، أو ترنو معه إلى البحر والقمر فى مدينة كان ، أو تسمع منه لحناً من فينا ، أو تتخيل المغرب العربى يتمثل فى أندلسية عرفها الشاعر على بحيرة لوجانو ؛ تلك وغيرها هى صور الحياة التى يرغب أن يتمتع بها كل إنسان و إن كان لا يستطيع ذلك . فمشاغل الحياة عبء مضروب على أكثر الناس . أما تلك السعادة التى يجدها المترف فى حياة يقضيها بين المناظر الجميلة والمتعة ، فذلك أمر مقصور على القليل من الناس الذين يعرفون قيمة الحياة الفنية ، وهذه هى الحياة التى ينقلها الشاعر على محمود طه صوراً ثابتة يستطيع بها المحروم أن يجد فيها عزاء عن حرمانه .

الاضطرابات الجنسية عند الرجل والمرأة للدكتور ابراهيم موريس الديك
(مطبعة الاعتماد بمصر)

إنى لأشعر دائماً بارتياح كلما عرض لى كتاب يبحث فى موضوع من غير موضوعات الأدب ؛ لأنى إذا كنت أميل بطبيعتى للموضوعات الأدبية ، فانى أحس بنقص المؤلفات العربية التى تخوض فى مناحى المعرفة المختلفة التى تعنى بها الأمم الأوربية . ولا شك أن من بين العلوم التى تمس الأدب من قريب ، والتى لا بد لأديب العصر الحاضر أن يلم بها ، تلك العلوم التى تدور حول الانسان وحياته فى هذه البيئة الانسانية . ومن أخص ما يمس

الانسان الناحية الجنسية . فلقد صار معترفاً بهذه الناحية وأثرها الكبير فى حياة الناس بعد مباحث فرويد ، وتغيرت الأوضاع ، فلم تعد الأبحاث بعد فرويد تدور على نزعة الخير والشر، بل عرف أن هنالك أموراً مسيطرة على الانسان هى جزء منه ، وهى التى تتحكم فيه أكثر من تحكم ذلك الشئ الفرضى الذى نسميه الخير أو الشر ، وهى أمور تؤلف جزءاً منه ومن تكوينه، ومن أهم هذه الأمور تلك التى تنشأ عن الجنس .

غير أن هذا الموضوع لسوء الحظ قد يمكن أن يتصل بنزعات سيئة ، ويمكن أن يتخذ وسيلة لترويج كتب لها أغراض غير خدمة العلم . وقد يكون من الخير أن تحارب أمثال هذه الكتب . على أن الذى سرنى فى هذا الكتاب الذى كتبه لنا الدكتور الديك ، أنه كتاب خالص لوجه البحث العلمى ، ولكن التعقيد العلمى فيه لا يبلغ حداً ينفر الأديب والباحث الاجتماعى والباحث النفسانى عن قراءته؛ فهو كتاب موطأ لكل مفكر على تنوع دراساته ، ولكنه لم يؤلف للجمهور غير المفكر .

هو كتاب علمى لدقته فى بحث موضوع الاضطراب الجنسى على أنواعه فى تفصيل وفى تبويب ، بحيث لا يفوت القارئ شئ من جوانب هذا البحث ، سواء من الوجهة الجسدية أو النفسية .

ويمكن أن نقول بوجه خاص ، إن الفصول التى تهم الأديب من الكتاب أكثر من غيرها ، هى تلك الفصول التى بحث فيها الكاتب عن نظريات فرويد وأدلر ويونج ، وعن الصراع بين الجنسين ، وعن عبيد العائلة ، فهى مباحث جديرة باطلاع كل أديب وباحث اجتماعى .

ولسنا نحب أن نترك الكلام عن هذا الكتاب القيم دون أن ننوه بالبساطة وحسن الترتيب فى سرد الموضوعات ؛ وفى الوقت نفسه دون أن نأخذ على الكاتب عدم العناية باللغة بقدر ما كان يجب ، وهو وإن كان كتاباً علمياً فان الكاتب أظهر فى أماكن عدة أن أسلوبه فى الشرح يكاد يكون أدبيا ، مما يجذب القارئ، ولكنه لم يعن العناية الكافية بمراجعة كتابه حتى ظهرت فيه معايب كثيرة، تدل على إهمال لقواعد اللغة أو فى مراجعة الكتاب مما كنا نرجو أن يبرأ منه .

حسن محمود

من وحى الفطرة للأستاذ محمد قره على (مطبعة بيروت)

هذا كتاب حقيق بالتنويه ، أنشأه كاتب لبنانى يستحق التنويه كذلك ؛ ولعلى لا أكون غالياً فى القول إن زعمت أن هذا الكتاب وكاتبه سيكون لهما فى غد من الشأن ما يحمل مؤرخى الأدب فى هذا الجيل على أن يفردوا لهما فصلا بعنوانه . . .

كاتب وكتاب يتحدثان عن قصة من أروع قصص البطولة الواثبة تتخطى القيود والسدود ولا تعبأ بالعقبات التى تتكاءد طريقها حتى تنتهى إلى الغاية أو تكاد ، وتضع قدمها على أولى عتبات المجد !

ليست من بطولة القوة ، فما أحرى هذه أن تكون لوناً من بطولة الغابة التى تتمثل فى ظفر وناب . وليست من بطولة الجسارة المتقحمة على المهالك على أمل الظفر بأمنية بعيدة أو الموت دونها ؛ فما أشبه هذه كذلك أن تكون فنا من فنون المغامرة . وليست بطولة الجرئ الواغل الذى يخيل إليه من شدة اعتداده بنفسه أنه فوق كل ذى فوقية فلا يزال يلقى الناس بوجه وقاح حتى يحملهم على التسليم أو الاستسلام . . . ليست بطولة من هذه البطولات المتكررة الصور فى كل مجتمع من المجامع البشرية، ولكنها بطولة من نوع ممتاز لأنها بطولة إنسان ضعيف المنة عاجز الأداة مقطوع الأسباب ؛ ولكنه إلى ضعف منته وعجز أدواته وانقطاع أسبابه — قوى الايمان بانسانيته ، يحمله هذا الايمان القوى على خطته لعل عربيا قبله لم يسلكها ليحمل الجماعة البشرية التى يعيش فيها على الاعتراف بأنه إنسان ؛ وبلغ ما أراد ، أو لعله بلغ أكثر مما أراد ؛ فكان إنساناً . . . بطلا . . .

ذلك هو محمد قره على مؤلف هذا الكتاب !

وقد تعودت فى هذا الحيز من هذه المجلة أن أعرض ما بين يدى من الكتب عرضاً مجرداً يعرف بها ويكشف عن موضوعها ، لا أكاد أستطرد إلى ذكر الكاتب إلا قليلا من قليل حين تدعو إلى ذلك حاجة . فليعذرنى القارئ اليوم إذا أناعرضت له الكاتب قبل أن أعرض كتابه ؛ فان الكاتب هنا هو الموضوع الذى ينبغى أن يحتفل له مؤرخو الأدب العربى فى هذا الجيل !

عرفته فى بهو الفندق الكبير ببيت مرى فى لبنان منذ أسابيع ، أو

هو الذى عرفنى على الصحيح ؛ وكنت واقفاً بين طائفة من أهل الأدب ثمة ولفيف من أعضاء المؤتمر الثقافى حين تقدم إلىّ شاب قد مد يده للمصافحة وهو يقول ليعرّفنى نفسه : « محمد قره على ، صحفى » . وبادلته التحية ولم أزد ، وكأنى رأيت صحفيا ككل صحفى من الذين يغشون أمثال هذا المجتمع لحاجة أنفسهم أو لحاجه صحفهم فلم ألق إليه كبير اهتمام . . . ثم أتيحت لنا فرصة للاجتماع ، أو لعلها قد أتيحت لى أنا ؛ وتحدث إلىّ بقصته فى تواضع وفى إيمان !

نشأ فقيراً معدماً ككل فقير معدم ، وفقد أمه وهو صبى ، وضاقت أسباب العيش بأبيه أكثر مما كانت ، فلم يدخل مدرسة ولم يتعلم حرفاً ولا رسم حرف ، وخرج إلى الحياة يكدح لرزقه ورزق أبيه وأخته ولم يبلغ العاشرة ، فاحترف الخدمة فى حوانيت التجار ، ثم مسح الأحذية ، ثم جمالا فى الأسواق يحمل على كاهله الضعيف حاجات الناس من الأسواق إلى دورهم فى سلة من القصب يضيق بحملها فارغة فتى فى مثل سنه ساعة من نهار ؛ ثم يترقى من الحمالة إلى بيع الصحف وهنا يبدأ شعوره بثقل تبعته ، فهو أمى لا يميز جريدة من جريدة ، وفى لبنان عشرات من الصحف لمئات من القراء ، أو لآلاف ، ويسأل نفسه وقد بلغت سنه بضع عشرة سنة : لماذا لا أتعلم القراءة ؟ ثم لا ينتظر جواباً لسؤاله ؛ فلا يكاد يمضى قليل زمن حتى يصير قارئاً يميز أسماء الصحف بعضها من بعض ، ثم يترقى فى تعليم نفسه حتى يقرأ عناوين الموضوعات فى الجرائد التى يحملها للبيع ، ثم يترقى مرحلة أخرى حتى يقرأ الموضوعات نفسها ليعرف ماذا يبيع للناس من فنون الكلام . . . ثم لا يزال يترقى حتى يصير قارئاً له ذوق وإحساس فنى ورأى ؛ ويجتاز هذه المرحلة وثباً فاذا هو قارئ كاتب ولم يبلغ العشرين ، ولداته وأقرانه لا يزالون فى المدرسة الثانوية أو فى الجامعة يحاولون أن يتعلموا كيف يقرءون . ويغريه النجاح بالاستمرار والدأب فيقتنى الكتب ومعاجم اللغة يقرؤها فى أمسيات الفراغ على ضوء مصباح الشارع ضنا بما فى سراج البيت من زيت قليل ، ولا يزال فى النهار يبيع الصحف ، وأحسبه فى هذه الفترة قد صار نقيباً للباعة يملى عليهم الرأى فيستمعون له ؛ وعرفه أصحاب الصحف فقربوه وأدنوا منزلته ؛ إذ كان فى يده دون غيره رواج صحفهم أو كسادها ؛ أليس قد جمع أعداد

إحدى الصحف ذات صباح وأشعل فيها النار باحدى ميادين بيروت وقد تحلق حولها البساعة من «صبيانه» مهللين ؛ لأن هذه الصحيفة كان لها مذهب فى السياسة غير مذهبه ؟ هذا فتى يحاول « استغلال سلطة وظيفته » لتوجيه الرأى العام الوجهة التى يريدها ؛ لقد اغتصب سلطة صاحبة الجلالة الصحافة فما أحرى أن يكون هو صاحب الجلالة . . . إن الصحافة توجه الرأى العام ، ولكنه هو يملك توجيه الصحافة !

وبرز اسمه بين أصحاب الرأى من . . . من باعة الصحف ؛ وأراد أن تكون سلطته فى التوجيه عملية فاصطنع الكتابة ، وترقى مرحلة أخرى فصار صحفيا . . . إنه لم يزل حتى اليوم وقد جاوز الثلاثين ، يحرص على هذه الصفة ، ولكنه فيما أراه أكبر من صحفى . وعالج الشعر فبلغ مبلغاً ، ونشرت له الصحف المصرية واللبنانية الراقية ؛ وغشى المجامع العامة فلقى الترحيب ، وتعرف إلى كبار أهل الأدب والسياسة فسرهم أن يعرفوه ، ولا يزال حتى اليوم يحتفظ إلى جانب صورة ماسح الأحذية ، والحمال ، وبياع الجرائد الجوال — صوراً أخرى تمثله يتحدث إلى شوقى ، أو إلى هيكل أو إلى أحمد أمين ، أو عبد الرحمن عزام — كل أولئك من أصدقائه وله فى أنفسهم مكانة ؛ إنه زميل من زملائهم فى الشعر أو فى الأدب أو فى السياسة ، وكان ماسح أحذية وحمالا ، وبياع جرائد ؛ ولكنه اليوم أديب من أدباء لبنان . وحاول السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان أن يصطنعه فعين له وظيفة فى الدولة ، فقبل الوظيفة ولكنه لم يقبل أن يصطنعه أحد ؛ فهو اليوم موظف ، وصحفى ، وشاعر ، وكاتب ، ومؤلف مشهور ؛ وهذا كتابه الأول «من وحى الفطرة» وقد كتب مقدمته الشاعر القروى الأستاذ رشيد سليم خورى ، ويقول فى ختامها :

« رشح نفسك لرياسة الجمهورية يا محمد قره على وأنا أول من يمنحك صوتى ، ولن أوثر عليك إلا من يحمل شهادة تحمل من علامات الثقة بالنفس والاعتماد على الساعد والتمرن على مسح الأحذية ونقل الأمتعة وبيع الصحف أكثر مما تحمل شهادتك . إن البلاد لمفتقرة إلى إبراهيم لنكلن لبنانى، فاذا لم يتفق فانتظروا معى فتاة لهذا الوطن ! »

ولكن ما هذا الكتاب الذى يصف الشاعر القروى كاتبه بما وصف ؟

هو كتاب تقول عنه مجلة « الأديب » البيروتية : « وأعد المحرر كتاباً عن سيرة حياته ، سماه « من وحى الفطرة » نزولا عند طلب رفاق الأمس من ماسحى الأحذية ، والحمالين ، وبائعى الصحف وسكان الأكواخ الخشبية ؛ هؤلاء الذين خرج من صفوفهم المتألقة ولم يخرج عليهم فكان خيط الألم بينه وبينهم طريق القلم . »

هو إذن قصة حياة ذلك الأديب على ما رويتها فى إيجاز ؛ قد بسطها كاتبها فى أسلوب فنى عذب ، وأضاف إليها طائفة من الفصول ، ومن الشعر ، هى أيضاً جزء من قصة حياته ، لأنها تصور بعض مراحله فى الحياة وبين الناس .

وهو أول كتاب يذيعه فى الناس « نزولا عند طلب رفاق الأمس من ماسحى الأحذية والحمالين وبائعى الصحف ... الخ » معتزاً بهم ومعتزين ، ليضرب به المثل لهم ولغيرهم من القراء على « أن الحياة صعيد واحد قسمه المجتمع — أو قل : تقاليد المجتمع — إلى مقاطعات ، وأن فى إمكان الانسان أن يقفز من مقاطعة إلى مقاطعة بقليل من المغامرة . وقليل من الجرأة ، والتطفل ... »

كذلك يقول ، وكذلك كانت حياته !

أين هذا الأديب اليوم مما كان؟ ولكنه لم يقنع بما بلغ ولم ينس شيئا مما كان ، فلم يزل به إلى الماضى حنين وإلى المستقبل أمل عارم .

يقول فى خاتمة قصة حياته :

« لقد كنت أبيع كتب الناس وصحفهم ، فأصبحت الآن بحاجة إلى من يبيع كتابى !

« أيها الباعة ، يا رفاق ! أذكروا دائماً أن كل نسخة تبيعونها من هذا الكتاب هى حجر تزيحونه من طريقكم . لن أنسى أبداً أننى واحد منكم ! »

ويقول فى خاتمة كتابه :

« وأمنيتى وأنا فى الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب أن أعود بائع صحف أحمل إلى الناس آراء الناس وأفكارهم ، أى أن أكون مدرسة سيارة تغرى الناس ليقرءوا الناس ، فأبيع الفكر والقلم والقنبلة الذرية وسقوط وزارة وقيام وزارة بخمسة عشر قرشاً ... .

« أنا اليوم موظف صغير فى الدولة ما أضعفنى اليوم وما أقوانى أمس ، ساعة كان كل صحفى يتمنى أن أرضى .

« أتمنى أن أعود بائع صحف ، لأنى أخاف أن أتعلم المساومة بنفسى .

« كم صحيفة بعتها وكأنى كنت أبيع معها شرف صاحبها فى الأسواق الرخيصة ! »

ولكن صاحبه « الشاعر القروى » يتمنى له غير ما يتمنى لنفسه ، ولعله أن يبلغه يوماً فيصير رئيساً للجمهورية، وترق من بين صفوف باعة الصحف رئيس جمهورية آخر غير إبراهيم لنكلن ؛ فهل يأمن الصحفيون يومئذ شر المصادرة والحبس الاحتياطى ؟ وهل يأمن أهل الأدب أن يتتبعهم قارئ ضيق الفكر أو ضيق الخلق فيسوقهم إلى المحاكمة بتهمة الخروج على الناموس ؟

من يدرى ؟

محمد سعيد العريان

الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (مطبعة دار الكتب المصرية)

أصدرت دار الكتب المصرية الجزء السادس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . وهو مثل الأجزاء السابقة فى دقة التصحيح وجودة الطبع وجمال الرونق .

ع . م .